Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

آثر الفرق اليهودية المتطرفة في الدولة العثمانية " دراسة تاريخية"

م.م. أحمد ناجي نافع
جامعة كرابوك/ تركيا

استلام البحث:20-09-2025 مراجعة البحث :22-10-2025 قبول البحث:11-11-2025

الملخص

تتناول هذا الدراسة الفرق اليهودية المتطرفة في الدولة العثمانية، والاطلاع على نشأتها، ومعتقداتها، وتأثيرها الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. وركزت الدراسة بالتحديد على فرقة يهود الدونمة، ومؤسسها شبتاي تسيفي، وكيف عملت هذه الفرقة باتجاهات متعددة في سياسة الدولة العثمانية وايضاً بينت هذه الدراسة أن هذه الفرق اليهودية، بالرغم من كونها أقلية، الا انها مارست موقع حساس في المجتمع، إذ شملت الجوانب السياسية، والاقتصادية في المدن العثمانية الرئيسية، كما كان لها تأثير كبير على العلاقات بين اليهود وغير اليهود داخل الإمبراطورية العثمانية. كما يناقش البحث الأبعاد الدينية والثقافية لهذه الجماعات، ومدى تفاعلها مع السلطات العثمانية، بالإضافة إلى تحليل سياسات الدولة تجاهها، وكيف أثرت على استقرار المجتمع وتوازن القوى الداخلية، وتكونت هذه الدراسة من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، علاوةً على نتائج الدراسة وقائمة المصادر والمراجع العربية وغير العربية، أضافةً إلى الوثائق العثمانية.

_ قدم الباحث في المحبث الاول مفهوم التطرف لغةً واصطلاحاً، وتوضيح التطرف في العصور السابقة والمعاصرة.

_ وجاء في المبحث الثاني هجرة الفرق اليهودية نحو الدولة العثمانية والوضع القانوني لهم.

_ وحمل المبحث الثالث دور شخصية شبتاي تسفي ونشأة فرقة يهود الدونة وموقف السلطة العثمانية منها.

الكلمات المفتاحية: التطرف، الهجرة اليهودية، الدولة العثمانية، شبناي تسيفي، الدونمة.

Abstract:

This study examines the radical Jewish sects in the Ottoman Empire, focusing on their origins, beliefs, and socio-political influence.It particularly centers on the Dönmeh sect and its founder, Shabbetai Tzvi. The research demonstrates that the Dönmeh played significant and multifaceted roles in Ottoman politics. Despite being a minority, these sects exerted a tangible impact on the social, political, and economic structures of several major Ottoman cities. They also influenced the relations between Jews and non-Jews within the empire.Furthermore, the study discusses the religious and cultural dimensions of these groups and their interaction with the Ottoman authorities, along with an analysis of state policies toward them and their effects on social stability and internal power balance.The study is organized into an introduction, three main chapters, and a conclusion, followed by the research findings and a bibliography comprising Arabic and non-Arabic sources, in addition to Ottoman archival documents.

-In the first chapter, the researcher presents the concept of extremism, both linguistically and terminologically, clarifying its manifestations in earlier and contemporary periods.

-The second chapter discusses the migration of Jewish sects to the Ottoman Empire and examines their legal status within it.

-The third chapter explores the role of Shabbetai Tzvi, the emergence of the Dönmeh sect, and the Ottoman authorities' stance toward this movement.

Keywords : Extremism, Jewish Migration, Ottoman Empire, Shabbetai Tzvi, Dönmeh.

المقدمة

شهدت الدولة العثمانية عبر تاريخها الطويل تنوعًا دينيًا ومذهبيًا واسعًاً، إذ ضمّت بين جنباتها جماعات دينية متعددة، منها الجماعات اليهودية التي تمتع أفرادها بالحماية وفق "نظام الملل" ومع ذلك، ظهرت داخل هذه الطوائف بعض الفرق اليهودية ذات النزعة المتطرفة التي تبنت أفكارًا دينية وسياسية مغايرة، حيث أثّرت في الحياة الاجتماعية والسياسية في الدولة العثمانية .وتتناولت هذه الدراسة نشأة تلك الفرق، وأفكارها العقائدية، ودورها في الأحداث السياسية، وعلاقتها بالسلطة العثمانية وبالقوى الأجنبية. وكان المجتمع اليهودي في الدولة العثمانية يتكون من ثلاث مجموعات وهم:

– اليهود الذين عاشو في الدولة البيزنطية ثم خضعو للدولة العثمانية عند سقوطها.

– المهاجرون من المجر والنمسا وروسيا والمانيا وبولندا.

– اليهود المهاجرين من إسبانيا والبرتغال وايطاليا، نتيجة للاضطهاد الذي لاقوه بين تلك الشعوب، إذ وجدو الامن والاستقرار في كنف الدولة العثمانية.[1]وابرز اليهود الذين قدموا إلى الدولة العثمانية، كان يطلق عليهم اسم يهود "المارانوا"، وقام العثمانيون على مساعدة هؤلاء اليهود حيث وجهت مجموعات كبيرة منهم باتجاه المدن الكبيرة في الدولة العثمانية كـ (القسطنطينية، وإزمير، وسلانيك)، وقد سكنوا في الاحياء التي تقع بالقرب من موانئ ومداخل إستانبول، ومارسو مهمة الإشراف على سك العملة، وفرض انفسهم على البلاط بوصفهم أطباء.[2]

مشكلة البحث:

أسئلة البحث ما طبيعة نشوء وتطور الفرق اليهودية المتطرفة في عهد الدولة العثمانية؟ وما هو تأثيرها على البنى الدينية والسياسية والاجتماعية داخل الدولة؟ وكيف أسهمت في إحداث تحولات

سياسية واجتماعية واقتصادية بين سكان الولايات العثمانية؟

١– ما أبرز الفرق اليهودية التي ظهرت في عهد الدولة العثمانية؟

٢– ما العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية التي ساهمت في نشأتها؟

٣– كيف تعاملت الدولة العثمانية مع هذه الفرق وما هو الموقف المتخذ؟

٤– ما دور فرقة يهود الدونمة في التفاعلات السياسية الداخلية والخارجية للدولة؟

أهداف البحث

تحليل جذور ظهور الفرق اليهودية المتطرفة في البيئة العثمانية، والتعرف على أبرز شخصياتها وأفكارها السياسية والاقتصادية، ودراسة أثرها في العلاقات العثمانية – اليهودية، والكشف عن العلاقة بين هذه الفرق والحركات اليهودية اللاحقة في أوروبا والشرق الأوسط.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على منظور مهم من تاريخ الدولة العثمانية، غالبًا ما يترك في الدراسات التاريخية، كما يساعد في فهم جذور الفكر اليهودي المتطرف وتطوره في السياقات الإسلامية والعثمانية، وربطه بالتحولات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي شهدها العالم في القرون اللاحقة.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يشمل دراسة الوثائق والمصادر التاريخية العثمانية والعبرية والعربية. ويُستعان أيضًا بالمنهج الوصفي المقارن لتحليل أفكار الفرق المختلفة ومقارنتها عبر مراحل تطورها.

[1] هدى درويش، *العلاقات التركية اليهودية*، دار القلم ط1،دمشق، سوريا ، 1423هه/2002م، ص33–34

[2] احمد نوري النعيمي، *اليهود والدولة العثمانية*، دار البشير، عمان ، الاردن، ط1، 1991م، ص44

المبحث الاول: التطرف للغةً واصطلاحاً.

اولاً: التطرف في اللغة

التطرف كلمة مشتقة من الطرف، والطاء والراء والفاء. أصلان، تدل على معنيين

الأول: حد الشيء وحرفه، أو غاية الشي ومنتهاه.

الثاني: الحركة في بعض الاعضاء[3]

كما جاءت لفظة التطرف في لسان العرب تطرف الشيء: صار طرفاً، وتطرفت الشمس أي: دنت للغروب.[4]

والتطرف: عدم الثبات في الأمر، والثبات في الوسطية، والخروج عن المألوف ومجاوزة الحد والبُعد عما علية الجماعة.[5]

ثانيا: التطرف اصطلاحاً

التطرف قديما: لم تكن هناك لفظة تطرف قديماً ولاكن كانت هناك كانت لفظة كثُر استعمالها قديماً وهي كلمة "الغلوّ" كما وردت في القران الكريم، كقولة – تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَق...﴾،{النساء:171}.

ويمكن القول: أصبح الغلو يتجاوز حد الاعتدال في العقيدة والفكر والسلوك. والاصح هوة الخروج عن طريق الجادة والتعدي على المفاهيم والتقاليد والاعراف والسلوكيات العامة.[6]

اما التطرف عند المعاصرين فقد عرفه الدكتور "الكيالي" بأنه حالة من التزمت، والغلو في الحماس، والتمسك الضيق الأفق، بعقيدة او فكرة دينية؛ فهو حالة مرضية تتسم بالغلو، والتعصب الاعمى للفكرة، ومحاولة الانتصار لها في كل السبل، في المقابل الاستخفاف بآراء ومعتقدات الاخرين.[7]

يعرف التطرف اتخاذ الفرد موقفاً يتسم بالتعصب والخروج عن الاعتدال، والابتعداد عن المألوف، متجاوز المعاير الفكرية والسلوكية والقيم البشرية، التي حددها وارتضاها افراد المجتمع والفطرة الإنسانية.[8]

ويمكن أن يكون هذا التعريف هو أدق تعريف للتطرف، فقد جمع بين المعنى اللغوي للتطرف "الخروج عن الاعتدال" والمجال الذي يكون فيه الخروج، وهو الفكر والتعامل السلوكي، والضابط لهذا الامر هو ما ارتضاه المجتمع.

وخلاص القول: أن التطرف الديني هو سمة سيئت الصيت حيث تحاول زرع التعصف في المجتمع وبالتالي حدوث التفكك وتكتلات خارج المألوف المعتدل مما يهدد سلام المجتمع وامنة وبالتالي يسبب انهياره.

المبحث الثاني: هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية والوضع القانوني لهم.

اولاً: هجرة اليهود نحو الدولة العثمانية

---

[3] احمد ابن فارس، معجم *مقايس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، مطبعة الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م، 447/3

[4] أبن منظور محمد بن أكرم ، *لسان العرب*، ط1، دار صادر لبنان بيروت، 1970م، 148/8

[5] مرتضى الزبيدي محمد بن محمد، *تاج العروس من جواهر القاموس*،ط1، دار الفكر ،بيروت، 1414هـ، 87/24

[6] نعمة جاسم محمد، *التطرف الديني عند اليهود* دراسة . تاريخية، مجلة مجلة مركز الدراسات الانسانية، كانون الاول 2007، ص9

[7] عبد الوهاب الكيالي، *الموسوعة السياسية*، المؤسسة العربية العربية للدراسات والنشر، دار الهدى جـ1، ص768.

[8] ليلى بعد الستار، *تنمية الفكر السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف*، مجلة دراسات تربوية- رابطة التربية الحديثة، القاهرة، المجلد السابع،ص43

لم يندمج اليهود في شتى أنحاء العالم في المجتمعات الأصلية، بل حاولوا عبر التاريخ التكتل فيما بينهم لتشكيل مجتمع بشري فريد، وقد أدى هذا التكتل إلى انحصارهم في مناطق معينة من العالم [9]، تجسّد موقف أوروبا تجاه اليهود في الأفكار السائدة حينها، والتي انطلقت من نظريات معيّنة ترى اليهود "شعب الله المختار" نتج عن هذا الاعتقاد عزلة اليهود وامتناعهم عن الزواج بغير اليهود للحفاظ على نقائهم العرقي. ونتيجةً لسلوكهم السياسي ومخططاتهم العالمية، تعرضوا لحملات اضطهاد كثيرة في بلدان العالم.[10]

وشهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتحديدًا منذ عام 1253م، تزايدًا في مظاهر القمع والاضطهاد الأوروبي لليهود، حيث اتخذت السلطات الفرنسية قرارًا نهائيًا بترحيل جميع اليهود، ولم يكن هذا القرار وليد صدفة، بل جاء ردًا على مخالفات ارتكبها اليهود للقوانين الفرنسية. لجأ اليهود بعد ذلك إلى إنجلترا، حيث نجحوا في الاندماج بالمجتمع الإنجليزي، وتمكنوا من السيطرة على رجال السلك الكنسي، فضلًا عن التأثير على طبقة النبلاء والإقطاعيين. وقد استغل المرابون اليهود هذا الوضع، وأكدت التحقيقات تورط ثمانية عشر يهوديًا في تنظيم هذه العمليات، حيث قُدموا للمحاكم وحُكم عليهم بالإعدام[11]، وبعد تولي إدوارد الأول العرش في إنجلترا (1272–1307م)، أصدر أمراً يحظر على اليهود ممارسة الربا. كما سنّ برلمان أكسفورد قوانين خاصة سُميت بـ "الأنظمة الخاصة باليهود" بهدف الحد من انتشار ظاهرة الربا. وعندما ظن اليهود أنهم قادرون على تحدي أوامر الملك، تبين لهم خطأ ذلك، إذ فاجأهم الملك بإصدار قانون ينص على طرد جميع اليهود من أراضي إنجلترا، لتبدأ مرحلة جديدة أطلق عليها المؤرخون تسمية "الإقصاء الأكبر"[12]، توالت عمليات إجلاء وتهجير اليهود من الدول الأوروبية؛ فبدأت ساكسونيا بطردهم عام 1348م، تبعتها هنغاريا عام 1360م، ثم بلجيكا عام 1370م، وسلوفاكيا عام 1380م، والنمسا عام 1430م، وهولندا عام 1444م. كما أبعدتهم إسبانيا عام 1492م، وهي الدولة التي كانت تضم أكبر تجمعاتهم. لم تكن عمليات الطرد والتهجير هذه مُدبّرة مسبقاً، بل كانت ناتجة عن افتعال اليهود للمشاكل، وممارستهم للربا الفاحش، وسلب أموال الناس والاستيلاء على الأملاك والعقارات، بالإضافة إلى تآمرهم وتدخلهم في سلطة الدولة، وافتعالهم للنعرات الطائفية والفتن داخل المجتمعات الأوروبية. [13]

---

[9] احمد نوري النعيمي، *اليهود والدولة العثمانية*، دار البشير ،ط1، عمان الاردن، 1997، ص15

[10] عبد المجيد همو، *الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات*، الاوائل للنشر والتوسيع، دمشق،ط1، 2003ص140.

[11] محمد يونس هاشم، *الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية*، دار الكتاب العربي للنشر،ط1، دمشق،2010،ص230–231

[12] كمال السعيد حبيب، *الاقليات والسياسة في الخبرة الاسلامية من بداية الدولة الاسلامية حتى نهاية الدولة العثمانية (622_1908)* ، مكتبة مدبولي للنشر ط1،القاهرة ،2002،ص328

[13] يعقوب لا ندروا، *تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية(1517_1914م)*، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي أحمد عبد اللطيف حماد، تقديم ومراجعة : محمد خليفة حسن، المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة، 2000، ص3

كان أول نزوح لليهود تجاه الدولة العثمانية، في عهد السلطان "أورخان غازي"[*]، مؤسس الدولة. وقد أظهر السلطان اهتمامًا بالغًا باليهود القادمين، نظرًا لنجاحهم وتفوقهم في المجالات التجارية والصناعية والمالية. ومن هذا الاهتمام، بدأت الهجرات تتوالى على مراحل، لتصبح شبه جزيرة الأناضول وجهة لليهود، خاصة بعد أن وجدوا لدى آل عثمان الحماية والملاذ الآمن، وتوفر الرعاية والتسامح الديني الذي افتقدوه في أوروبا. وبعضهم وصل إلى أراضي الدولة العثمانية نتيجة لعمليات الترحيل من الدول الأوروبية. وسمحت الدولة العثمانية لليهود بالإقامة على أراضيها ليتعايشوا مع المسلمين والديانات الأخرى، وضمنت لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم، والإقامة والتنقل بارتياح تام. وتُعد الهجرات الجماعية الكبيرة لليهود قد حدثت في عهد السلطان "بايزيد الثاني"[*]، تشير المعطيات التاريخية إلى أن السلطان بايزيد الثاني لم ينقذ اليهود بالمفهوم الظاهر للمصطلح، بل رحب بهم بعد تهجيرهم من قبل ملك إسبانيا "فرديناند"[*]، الذي قرر طرد أكثر من ثلاثمائة ألف يهودي من إسبانيا عام 1492، ثم قام بترحيلهم من البرتغال. أدت هذه الهجرات إلى تزايد كبير في حجم الجالية اليهودية في الدولة العثمانية، حتى أصبحت معظم المراكز الحضرية البارزة تضم تجمعات يهودية كثيفة؛ ففي سلانيك[*] فاقت نسبة اليهود 60% من سكانها، لتصبح العاصمة الأهم لليهود في الدولة العثمانية[14]، وهكذا وجد اليهود في أراضي الدولة العثمانية ملاذاً آمناً، فعاشوا في كنفها مطمئنين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى [15].

ثانياً: الوضع القانوني لليهود في الدولة العثمانية (نظام اهل الذمة)

بعد استقرار اليهود في أراضي الدولة العثمانية، طبقت السلطة أحكام الشريعة الإسلامية، وحصلوا في ظلها على قدر كبير من الاستقلال الذاتي. وفي الحقيقة، لم يجد يهود إسبانيا المأوى فحسب في أراضي الدولة العثمانية، بل توفرت لهم الرفاهية والحرية المطلقة.[16]

وحددت مبادئ الإسلام، الذي سمح للمسيحيين واليهود بالعيش وحق الامتلاك جزئيًا وفقًا للقرآن، معايير خاصة بالشعوب التي انتقلت إلى أراضي الإمبراطورية العثمانية، شريطة التزامهم بالقوانين الإسلامية السارية وسداد الضرائب المقررة. ولقد

---

[*] اورخان غازي بن عثمان: وهوه ثاني سلاطين الدولة العثمانية حكم بالفترة 1324_1362م، ،أنظر: صلاح كولن، *سلاطين الدولة العثمانية*، ترجمة: منى جمال الدين، دار النيل، ط1، القاهرة، مصر، 1435_2014م، ص10

[*] بايزيد الثاني: ابن السلطان محمد الفاتح ويعتبر السلطان الثامن للدولة العثمانية ولد سنة 851 للهجرة وتولى السلطنة في سن 35، انظر: عزتلو يوسف بيك آصف، *تاريخ سلاطين بني عثمان* ، كلمات عربية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، مصر،2011

[*] سلانيك: سالونيك (ثيسالونيكي) هي ميناء يوناني يقع على بعد نحو 530 كيلومترًا من إسطنبول، ويرتبط بها عبر خط حديدي. افتتحت الدولة العثمانية هذا الميناء في عهد السلطان مراد الثاني عام 853 هـ/1431م، وسرعان ما أصبح أهم ميناء تجاري للدولة العثمانية في أوروبا بعد إسطنبول، واشتهر بتجارة الحرير والقطن والتبغ. كما كانت المدينة نقطة تجمع لليهود الفارين من إسبانيا. انظر: إسماعيل سرهنك ،*حقائق الاخبار عن دول البحار*، 2ج، المطبعة الاميرية ،القاهرة ، ط1، 1312هـ/1895م ،ج1،ص466.

[14] Bernard Lewis, *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, meler puplishers, VaL–l,New york , 1982, P. 120– 123.

[15] مصطفى صبري ، *النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة*، تقديم ودراسة : مصطفى حلمي ، دار الدعوة، ط1، الاسكندرية 1405هه/1985م، ص89.

[16] Ed,ByH.H–*Ben Sasson,AHistory of the Jewish People*,Landan,19.

سهّلت السلطات التعامل مع الذميين "المسيحيين واليهود"، وهم من "أهل الكتاب"، بقدر من التساهل تماشيًا مع القوانين الإسلامية. لكن هذا الوضع لم يكن مستقرًا؛ ففي ظل الاستبداد الشرقي، الذي مثّلتة الإمبراطورية العثمانية، فلم تكن حياة أي شخص مأمونة، بمن فيهم السلطان وأفراد عائلته، بسبب تعسف بعض الأفراد والجماعات التي كانت تتمتع بنفوذ واسع في أوقات محددة. أما فيما يتعلق بممتلكات أي فرد من الرعية، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، فقد كانت هذه الممتلكات، من وجهة النظر الإسلامية، ملكًا لله ونائبه على الأرض، وهو السلطان (الخليفة). وعليه، كانت الثروات الكبيرة تُصادر عادةً لصالح خزانة الدولة بعد وفاة أصحابها، وكانت السلطات تترك للورثة ما تراه ضروريًا لهم. كما كان السلاطين يسمحون لليهود المطرودين من الدول الأوروبية، والذين تعرضوا للإبادة على يد المسيحيين، باللجوء إليهم،حتى أثناء محاولاتهم للهروب، وعبر دخولهم بلادهم دون قيود، لقي اليهود المحليون والمقيمون في الدولة العثمانية تسامحاً أكبر مما لقوه في بيزنطة. ويُقدر عدد اللاجئين اليهود الذين استقروا في الدولة العثمانية بنحو ٤٠ ألف نسمة، لكن هذا العدد تضاعف سريعاً مع وصول اليهود الذين قدموا لاحقاً من صقلية والبرتغال. في نهاية حكم محمد الثاني (الفاتح)، ووفقًا لتعداد السكان الذي أُجري عام 1477م، بلغ عدد العائلات اليهودية في إسطنبول 1647 عائلة، أي ما يقرب من 8000 نسمة، وذلك بناءً على حسابات "خليل إينالجيك". وكان يُسمح لغير المسلمين في الإمبراطورية العثمانية بممارسة طقوسهم الدينية والعيش وفقًا لشرائعهم الدينية الخاصة، وفي عهد محمد الفاتح، الذي فتح القسطنطينية (وحكم من عام 1444م حتى 1446م، ثم من 1451م حتى 1481م)، عاش أصحاب الملل المختلفة من الجاليات غير المسلمة وهم: اليونانيون الأرثوذكس، واليهود (تشير بعض المعلومات إلى أنهم تأسسوا رسمياً بحلول عام 1493م أو بعد ذلك)، والأرمن الجريجوريانيون. وقد تزايد عدد أصحاب الملل الأخرى بمرور الوقت.، وجميعهم بقوا حتى الانهيار النهائي للإمبراطورية في عام1918م.[17]

وتعرضت جماعات السكان المعروفين بالذميين، وهم أساساً المسيحيون واليهود من أهل الكتاب، للتفرقة الدينية والسياسية والاجتماعية. ولهذا، يُعدُّ اعتناق المسيحيين للإسلام بشكل جماعي في بعض مناطق البلقان، كألبانيا على سبيل المثال، مؤشراً دالاً على هذه التفرقة وعلى الضغوط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعرضوا لها، وتشير هذه الظاهرة إلى أن اعتناق الإسلام كان استجابة للظروف التي فرضت على هذه المجموعات، مثل الضرائب و الرغبة في الاستفادة من

[17] Le nombre *des juifs de Castille et d'Espagne au Moyen* Age. –Revue des Etudes Juives, No 141887., pp. 160–161; Franco M. Essai sur l'histoire des Israelites de l'Empire Ottoman. P., 1897. pp. 21–23, 29–31; Christians and Jews in *the Ottoman Empire: the Functioning of a Plural Society*. Ed. by Braude B. and Lewis B. N. Y.–L., 1982. V. 1. p. 123

المزايا المترتبة على الانتماء إلى الطبقة الحاكمة أو البيروقراطية في الدولة العثمانية،[18] ويمكننا أن نجد بين اليهود أيضاً اعتنقو الإسلام من عُرفوا بالدونمة (الذين اعتنقوا الإسلام ظاهرياً)، وسنتناولهم في المبحث الثالث بتفاصيل اوسع، علماً أن هؤلاء كانوا قلَّة نادرة.

وكانت الإمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى تطبّق قانوناً يقضي بإعدام كل مسيحي أو يهودي يعتنق الإسلام ثم يرتدّ عن دينه الجديد ويعود إلى دينه السابق. ألغي هذا القانون في منتصف القرن التاسع عشر فقط، وقد أظهر هذا أن السلاطين الذين كانوا متسامحين مع اليهود كانوا يُصدرون أوامر عنصرية أيضاً؛ فالفرمان الذي أصدره السلطان محمد الثاني (الفاتح) كان يحظر ترميم وإعادة بناء المعابد اليهودية (السيناجوج) * والكنائس المهدّمة، وظل هذا الفرمان ساري المفعول بصرامة وقسوة حتى منتصف القرن السابع عشر. عندها، بدأت السلطات التركية بالتغاضي عن المخالفات، وكان هذا التهاون ناتجاً عن الصراع الطويل والعنيد، ورشوة السلطات، ومفاوضات زعماء الطوائف معها، بالإضافة إلى ذلك، كان ارتداء الحرير والمجوهرات محظورًا على أثرياء اليهود أيضًا، وهو ما كان يمثل في ذلك العصر خطرًا حقيقيًا على حياتهم بشكل عام[19]، ففي ظل التنظيم الإداري الصارم الذي ساد الطوائف غير المسلمة، بما فيها اليهودية، تراكم رأس المال التجاري الربوي. كانت مصادر هذا التراكم تتمثل في مجالات المبادلة ونظام الالتزام والربا، وهي أنشطة لم يمارسها الأتراك لأن القرآن يحرم الفائدة الربوية. ولهذا، ظل الأتراك ينظرون إلى التجارة والعمليات المالية باعتبارها أعمالاً وضيعة لفترة طويلة. ويؤكد هذا المعنى أحد المؤرخين الأتراك في القرن السابع عشر، وهو كوتشيباي جيوميور دجينسكي (كوتشي مصطفى باي)، حيث قال: «لا يمكن للمرء أن يتغلب على هؤلاء التجار الثعالب».[20]

وفي عام ١٨٤٠م، أصدرت الحكومة قانونًا جنائيًا جديدًا استرشدت في مجمله بالقواعد القانونية الأوروبية، على الرغم من بقاء القواعد السابقة، المسيحية واليهودية، سارية على أساس طائفي، وفي عام ١٨٦٥م، حصل اليهود العثمانيون على ميثاق مماثل، لكنه لم يثر أي حماس لدى طوائفهم، كما أُعلِنَ عن مشروع إعادة التنظيم الداخلي للطوائف غير المسلمة في

[18] مقال منشور في موقع قناة الجزيرة على الرابط https://www.aljazeera.net/programs/2023/4/5

[*] السيناجوج: وهو الاسم العام والشائع لمعبد اليهود، وهي كلمة عبرية تعني بيت الاجتماع. أنظر :اية الهنداوي، ***السيناغوغ (أو الكنيس اليهودي)***، 2024/11/7م، https://pressst.com/2024/11/07/، ***2025/11/12***

[19] Documents officiels turcs concernant les Juif de Turquie (recueil de 1141ois, reqlernents, firmans, berats, ordres et decisions de tribunaux). Istanbul, 11931. pp. 112–114

[20] سميرنوف ف.، *كوتشيباي جيوميور دجينسكي وكُتَّاب آخرون من القرن السابع عشر يتحدَّثون عن انهيار تركيا*، سان بطرسبورج، ١٨٧٣م، ص137.

خط همايوني عام 1856م، سعت الحكومة إلى القضاء على التنازع الديني والصراعات بين الطوائف لضمان الأخوَّة العثمانية والمساواة بين رعايا السلطنة، إلا أن الحكومة ظلت أسيرة لهذه الأوهام لبضعة عقود.[21]

وفيما يتعلق بالشؤون الوظيفية، كان الأمر الصادم هو إلغاء فرض دفع السكان غير المسلمين لنفقات الموظفين ورواتبهم خلال تنقلاتهم عبر البلاد، وهي النفقات التي كانت مفروضة عليهم سابقًا. وفي يناير من عام 1834م، صدر مرسوم آخر يحظر التعسف في جمع الأموال في المحاكم والمبالغة في الضرائب التي أقرها القانون لدفع رواتب الموظفين ومبعوثي الحكومة.[22]

صدر مرسوم جولخان (الخط الشريف) في الثالث من نوفمبر عام 1839م، في عهد السلطان عبد المجيد الأول (1839–1861م). ضمن هذا المرسوم للرعايا غير المسلمين حق الحياة الكريمة والسماح لهم بالتملك، وهو ما لم يكن متاحًا لهم سابقًا. وقد تم اعتماد مبادئ مرسوم جولخان وتطويرها لاحقًا في عهد مرسوم همايوني الصادر عام 1856م.[23]

وفي عام 1868م، تأسس مجلس الدولة العثماني "شورى إي ديفليت" برئاسة الوزير الرئيس، على غرار نموذج مجلس الدولة الفرنسي. وفي عام 1873م، كان المجلس يتألف من أربعة أقسام: تشريعي، وإداري، وتحكيمي، وقسم للشؤون الاجتماعية. لم يكن رجال الدولة العثمانية يعطون مسألة مساواة المسيحيين واليهود بالمسلمين أهمية قصوى في حد ذاتها، بل ربطوا ذلك بإصلاح المؤسسات الحكومية. ومع ذلك، أصبحت هذه المسألة لاحقًا جزءًا أساسيًا من السياسة الرسمية العثمانية، خاصة في سياق التدخل الأوروبي المستمر والملح. من بين ستة عشر مستشارًا في هذا المجلس، كان هناك ثلاثة يمثلون الطوائف غير المسلمة، وهم: اليونانيون واليهود والأرمن. وفي العاشر من مايو عام 1869م، ألقى السلطان عبد العزيز (1861–1876م) خطابًا في الاجتماع الأول للمجلس أكد فيه قائلًا: «أيًّا كانت العقيدة التي يعتنقها رعاياؤنا، فجميعهم أبناء وطن واحد. ولا ينبغي أن تكون الاختلافات الدينية سببًا للشقاق بين الرعايا العثمانيين؛ إذ إننا نضمن حرية العقيدة».[24]

---

[21] مجلة ترك برس، *نظام الإصلاحات العثماني وآثاره على الولايات العربية (الشام 1839– 1876م)*، متاح على الرابط التالي https://www.turkpress.co/node/10107

.

[22] Le Moniteur *Ottoman*, 22.01.1834

[23] الغالي غربي ، *دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي*، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط2، 2011م ص152

[24] Karal E. *Osmanli tarihi*. C. 7, Ankara, 1956. s. 1481

ثالثا: علاقة الدولة العثمانية بالجاليات اليهودية والمؤسسات الدينية

تجلت علاقة الدولة العثمانية بالجاليات اليهودية ومؤسساتها الدينية علاقة معقدة ومتنوعة، اتسمت بالتسامح أحيانًا والتمييز أحيانًا أخرى. بشكل عام، سمحت الدولة العثمانية لليهود بممارسة شعائرهم الدينية بحرية نسبية ضمن نظام "الملل"، الذي منح الطوائف الدينية غير المسلمة، بما فيها اليهود، قدرًا من الاستقلالية في إدارة شؤونها الداخلية. ومع ذلك، واجه اليهود تحديات وتمييزًا في فترات معينة، خاصة في المراحل المتأخرة من عمر الدولة العثمانية.

منحت الدولة العثمانية رعاياها المقيمين على أراضيها مجموعة من الامتيازات والتنازلات والحصانات، ونصّت عليها وثائق مثل خط شريف كلخانة (1839)، وخط همايون (1856)، والدستور (1876). وقد أثار الخط الأول ردود فعل قوية في مختلف أنحاء السلطنة؛ إذ فسرت كل جماعة نصوصه وفقًا لمفاهيمها الخاصة[25]، لم يُبدِ رعايا الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً بإصلاحات عهد التنظيمات ما دامت تقتصر على مستويات السلطة العليا. ولكن، عندما بدأت هذه الإصلاحات تمس حياتهم بشكل مباشر في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر، قاوموا كل محاولات الدولة لتسجيل أسمائهم في السجلات، خوفاً دائمًا من الضرائب والتجنيد[26]، وبعد إعلان اليهود ولاءهم للسلطات العثمانية، حظوا بعطف المسلمين عندما ساءت علاقاتهم مع المسيحيين. وعندما ثار اليونانيون واندلعت حرب الاستقلال، وقف اليهود إلى جانب الأتراك، متخذين مواقف تراوحت بين السلبية والإيجابية، وهو ما حدث تحديداً خلال حرب القرم (١٨٥٣–١٨٥٦م) وكذلك عند تمرُّد المسيحيِّين في دمشق. استمر التنافس الاقتصادي والديني بين مسيحيي ويهود الشرق الأوسط لمئات السنين، وشهد هذا الصراع تقلبات وانتصارات متبادلة. ولنأخذ مثالًا: كان حنا بخري سكرتيرًا متواضعًا لدى إحدى المؤسسات الإقليمية إبان احتلال مصر لسوريا، حتى عيَّنه إبراهيم باشا مباشرةً "مديرًا" للمالية في عموم سوريا ورئيسًا للمجلس الاستشاري الذي أسسه في دمشق. دعم بخري إدارته بموظفين مسيحيين وأبعد اليهود المنافسين بكل الطرق الممكنة.[27]، لم تتغير علاقة مسلمي سوريا ومصر وغيرهما من بلدان الشرق الأوسط باليهود حتى بعد الإصلاحات (التنظيمات)، فلم يطالب اليهود بالحقوق الجديدة التي منحتهم إياها اللوائح السلطانية الصادرة عامي 1839م و1856م. وفي عام 1840م، علّق الباحث الشهير أوبيتشيني على وضع اليهود قائلًا: «كان خضوعهم للحكم العثماني لافتًا للنظر مقارنةً بالاضطرابات وحركات التمرد التي قام بها الرعايا الآخرون... يمكن تفسير ذلك جزئيًا بحرصهم على عاداتهم السلمية وموقعهم الذي لا يثير شكوك الباب

[25] احمد عبد الرحيم مصطفى، *في أصول التاريخ العثماني*، ط2، دار الشروق، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص202–203

[26] يوجين روجان ، *العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر*، تر: محمد ابراهيم الجندي ،ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر 2011،ص 119

[27] Inalcik H. Social and Economic History of Turkey (1071–1920). Ankara, 1980. pp. 205–210

العالي... وبما أنهم تميزوا بالصبر والمثابرة والرضا بقضائهم، فقد تركوا انطباعًا بالطاعة، على الرغم من وجود قوانين قديمة كانت تمنعهم، على سبيل المثال، من إظهار مظاهر الترف التي كانت تميزهم عرقيًا»[28]، كما صدرت تنظيمات جديدة في عام 1874م بعهد السلطان عبد العزيز (الذي حكم بين عامي 1861 و 1876م)، حيث طلب السلطان من الصدر الأعظم نديم باشا إجراء تغييرات شملت أهم هذه التنظيمات.[29] وتضمنت:

1- منح السلطان لجميع الرعايا حق انتخاب ممثلين وأعضاء المحاكم النظامية وأعضاء مجالس الإدارة، وتعيينهم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لضمان أن تكون تشكيلات هذه المحاكم موضع ثقة الرعيا.

2- التأكيد على المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية، مع استمرار منح الامتيازات للأقليات غير الإسلامية.

3- السماح للمسلمين ولغير المسلمين بأستخدام ممتلكات الدولة.

4- جدده السلطان وعده بالحافظ على أموال وأنفس جميع الرعايا في الدولة.[30]

وسَاعَدَ صدور فرمان عثماني عام 1869م، والذي سمح لليهود الأجانب بتمليك الأراضي في الدولة العثمانية، على تسريع وتيرة تكوين المستوطنات اليهودية. كما أدت بعض الأحداث الداخلية والاضطهاد الذي تعرض له اليهود في روسيا إلى موجة كبيرة من هجرتهم إلى فلسطين، خاصة منذ عام (1881)، حيث تملّكوا الأراضي فيها. وقد انتبه السلطان عبد الحميد الثاني إلى حركة الاستيطان اليهودية، وحاول استثمار رغبة الصهاينة في الاستيطان بفلسطين. وخلال الفترة بين (1881-1888) تزايدت أعداد ومساحات المستوطنات اليهودية. وللمناورة، أصدر عبد الحميد الثاني عام (1881) فرمانًا للحد من إقامة اليهود في فلسطين لمدد طويلة، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقتنع بهذا الفرمان، ولا بالتوضيحات التي أرسلتها الدولة العثمانية لأمريكا، والتي أفادت بأن الدافع وراء الفرمان العثماني هو الخشية من نشوب نزاع بين اليهود والعرب في فلسطين.[31]

رابعاً: الفرق اليهودية في الدولة العثمانية

لا يعلم الكثير من الناس أن اليهود انقسموا إلى فرق عديدة ومتنوعة، شأنهم في ذلك شأن المسلمين والمسيحيين. وقد حدث انشقاق بعض هذه الفرق في وقت مبكر من تاريخ اليهود، واختفى بعضها وتلاشى، ولم يبقَ منه إلا ما دُوّن في التاريخ

---

[28] Ubicini M. *Letters on Turkey*. Vol. 2. L. 1856. p. 34

[29] عبد العزيز عوض، *الإدارة العثمانية في سوريا 1864-1914م رسالة ماجستير*، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر .

[30] قيس جواد العزاوي،الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل النحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت ، لبنان، ط1414،1ه/1994ص113

[31] مجلة حبر ابيض *الصهيونية والدولة العثمانية*، :الصهيونية والدولة العثمانية (2) – العدد الثامن والخمسون – حبر أبيض

وأخبرنا عنه. أما البعض الآخر، فقد حافظ على بقائه حتى يومنا هذا. وسنتناول باختصار أبرز هذه الفرق التي نشطت في الدولة العثمانية.

1- **الاشكناز**: أُطلقت هذه التسمية على اليهود المنحدرين من أصول ألمانية، ومنهم يهود بولندا وغالبية يهود روسيا وفرنسا، وكانت لهجتهم هي اللهجة الألمانية الجنوبية "اليديشية"[*]،وهاجر عدد من يهود الأشكناز إلى أراضي الدولة العثمانية خلال القرن الخامس عشر، قادمين من دول ألمانيا وفرنسا، بحثًا عن مكان آمن للاستقرار هربًا من الاضطهاد والتنكيل القسري في دول أوروبا. وكان وجودهم أقل من وجود يهود السفارديم لأنهم هاجروا بأعداد أقل. وبعد استقرار هؤلاء في الدولة العثمانية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم، حصلوا في ظلها على قدر كبير من الاستقرار الذاتي. وفي الحقيقة، لم يجد اليهود المأوى فحسب في تركيا العثمانية، بل نعموا أيضًا بالرفاهية وحرية الرأي، وتغلغلوا في مفاصل الدولة من خلال التسلسل الهرمي في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث وصلوا إلى مناصب حساسة مثل دون جوزيف ناسي وسلوامون أشكنازي. وبموجب النظام الوطني، تمتع اليهود بقدر كبير من الاستقلال. وكان أبرز الشخصيات اليهودية التي ظهرت في الدولة العثمانية هو المسيح شبتاي تسفي، وهو من أب أشكنازي، وُلد في إزمير بالأراضي العثمانية[32] وبشكل عام، كان الأشكناز يمثلون جزءًا من التنوع اليهودي في الدولة العثمانية، لكنهم لم يشكلوا الأغلبية السكانية كما كان الحال مع السفارديم. [33]

2- **يهود السفرديم** : هؤلاء هم اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بعد فتح المسلمين لها عام 711م. كانوا يتحدثون العربية في بداية وجودهم حتى القرن الثالث عشر، ثم انتقلوا إلى التحدث بالإسبانية واعتبروها لغتهم الأساسية. شكّل اليهود السفارديم أقل من نصف يهود العالم بكثير، إذ بلغت نسبتهم 23%. وتميز يهود السفارديم عن اليهود الأشكناز باختلاف ثقافتهم التي تأثرت بحضارة العرب في إسبانيا، على عكس يهود الأشكناز الذين عاشوا في بيئة منعزلة في أوروبا. ظلّ يهود السفارديم لا يخالطون الأشكنازيين ولا يتزوجون منهم حتى نهاية القرن الثامن عشر. وفي سياق آخر، قام السفارديم بما قام به اليهود الأشكناز في أوروبا. وقد أثار يوسف زيتاي ضجة كبيرة عندما ادعى أنه المسيح اليهودي المنتظر،

[*] اليديشة: هي لغة عبيرية تطورت مع اللغة الالمانية كان يتحدث بها يهود الاشكناز ودخلتها بعض الكلمات العبرية وبعض ودخلتها كلمات من السلافية .أنظر : ،عبد المجيد همو ،*الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات* ، ط2، الاوائل للنشر والتوزيع، سوريا ، دمشق،1425هه/2004م،ص135

[32] عبد الوهاب المسيري، *اليد الخفية:دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية*، ط3،دار الشروق، القاهرة ،مصر،2005، ص95

[33] أحمد نوري النعيمي، *اليهود والدولة العثماني*ة ص36

وتبعته مجموعة من يهود المشرق. وبعد أن سجنه السلطان العثماني، تاب زيتاي وغيّر اسمه وأعلن إسلامه، وأمر جماعته بإعلان إسلامهم ليعملوا من داخل الدولة العثمانية.[34]

3- **اليهود القراؤون:** استقبلت الدولة العثمانية أعدادًا كبيرة من المهاجرين ومن بينهم اليهود الذين أتوا من شبه جزيرة القرم، كانت هناك جماعات من طائفة اليهود القرائين، ويهود القرماتشاك الذين يتحدثون اللغة التركية.[35]

4- **فرقة يهود الدونمه**، سوف نتاوله هذه الفرقة بصورة اوسع في المبحث الثالث

المبحث الثالث: شخصية سابتاي تسيفي، وتأسيس فرقة يهود الدونمة، وموقف الدولة العثمانية منها.

اولاً: شبتاي تسفي حياته ونشأتة:

ولد شبتاي ستفي (1626-1675م) في أزمير لأب أشكنازي كان يعمل بالتجارة، وكان إخوته تجارًا ناجحين. تلقى تعليماً دينياً تقليدياً، فدرس التوراة والتلمود، ولكنه اتجه لدراسة "القبالاه".* يعتبر شبتاي تسفي مؤسس طائفة الدونمة، وهو من أصول إسبانية. أرسله والده إلى مدرسة يهودية في سن مبكرة، حيث تعمق في دراسة العلوم اليهودية، التلمود والتوراة. برزت عليه علامات النجابة والذكاء، وتخرج من المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره. بعد ذلك، مارس مهنة التدريس، وتميز بطلاقة اللسان وجمال المحيا والقدرة على التأثير في محدثيه، حتى أصبح حاخامًا في سن الثامنة عشرة.[36].

ادّعى شبتاي زيفي أنه يريد هداية المجتمع اليهودي إلى الإسلام وترك الديانة اليهودية، وقد نال ذلك استحسان الخليفة العثماني محمد الرابع (1648-1687م)، الذي منحه راتباً وسمح له بالتنقل بحرية في أرجاء الدولة العثمانية. وبالفعل، كان شبتاي يدعو اليهود علناً لاعتناق الإسلام، بينما كان يأمرهم سراً بالتمسك بعقائدهم وطقوسهم اليهودية، ومطالبتهم بالتركيز بكل قوة على السيطرة على اقتصاديات الدولة العثمانية بهدف الإمساك بمفاتيح السلطة، كون الاقتصاد يمثل ركيزة أساسية وعصب الدولة العثمانية. وشوهد شبتاي من قبل رجال السلطة وهو يخطب في مجموعة من اليهود بالقرب من إسطنبول قائلاً: "أما الآن وقد أصبحتم مسلمين، فلكم مطلق الحرية في العمل، وعليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والحيوية للأتراك، واعملوا على استخدام جميع الوسائل حتى تتم السيطرة الشاملة".[37]

---

[34] عبد المجيد همو، *الفرق و المذاهب اليهودية منذ البدايات*، ص138

[35] محمد حامد، "*مقالة من تاريخ التسامح الديني في الدولة العثمانية: الهجرة اليهودية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*"، مجلة ترك برس، 07 مايو 2016.

* القبالاه : مصطلح عبري يعني التلقي أو الاستسلام، والقبالاه تعاليم مستلمة متنقلة من جيل إلى جيل آخر عند اليهود منذ اقدم العصور وهي مزيج بين الفلسفة والتأويلات الباطنية وتقوم على الشعوذة والسحر والتنجيم. أنظر: تر: اميل غباس ، *القبالة والسحر اليهودي* ، مكتبة السائح، طرابلس، ص25

[36] احمد عثمان، *تاريخ اليهود*، مكتبة الشروق، القاهرة، 1994م، ص56

[37] وليد رضوان، *تركيا بين العلمانية والإسلام في القرن العشرين*، المطبوعات للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، ص27

ثانياً: فرقة يهود الدونمة:

الدونمة (Donmeh) كلمة تركية مشتقة من الفعل "donmek" الذي يعني الرجوع أو العودة أو الارتداد. وكلمة "Donmeh" نفسها مركبة من جزأين: "دو" (من أصل فارسي) بمعنى اثنين، و"نمّة" بمعنى نوع. بالتالي، تشير الكلمة إلى الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وقد أطلق الأتراك هذا الاسم على اليهود الذين تظاهروا باعتناق الإسلام.[38] وأُطلق هذا الاسم على مجموعة يهودية تركية تُعرف باسم "الدونمة"، وهم يهود متخفون استقروا في سالونيك وأعلنوا إسلامهم تشبهاً بشبتاي تسفي، "المسيح الدجال"، الذي أسس هذه الفرقة. بدأت هذه الفرقة في أدرنة ثم انتقلت إلى سالونيك. كان الكثير من أتباعه يعتقدون أن ارتداده عن دينه واعتناقه الإسلام كان تلبية لأمر خفي من الرب، لذلك اتبعوا طريقه والتفوا حوله، لكنهم تمسكوا سراً بممارسة الديانة والتقاليد اليهودية. تجدر الإشارة إلى أن اعتناقهم الإسلام كان طوعياً وليس قسرياً، بخلاف "يهود المارانو".* لم تُجبر الدولة العثمانية أحداً على اعتناق الإسلام في ذلك الوقت. أما عقيدة الدونمة فهي عقيدة حلولية غنوصية متطرفة، حيث يؤمن أتباعها بألوهية شبتاي تسفي، وكان كل عضو في فرقة الدونمة يحمل اسمين: اسم تركي مسلم، وآخر عبري يُعرف به بين أعضاء مجتمعهم السري. [39]

ثالثاً: موقف السلطة العثمانية من فرقة يهود الدونمة

نظرت السلطة العثمانية إلى الفرق اليهودية بريبة بسبب ازدواجية هويتهم الدينية، لكن سُمح لهم بالبقاء بعد أن أعلنوا الإسلام ظاهريًا. وأصبحوا يشكلون جماعة "خفية" داخل المجتمع العثماني، لا سيما في إزمير وسالونيك، ولعبوا لاحقًا دورًا بارزًا في التحولات الفكرية والسياسية. ووضح إمام السلطان أن الفكر القومي المتشدد في أوروبا كان يحفز الملل والأقليات غير الإسلامية داخل الأراضي العثمانية على التحرك وتنسيق مواقفها لتشكيل دولة. وكان ليهود الدونمة رؤيتهم لأوضاع الدولة العثمانية، عبر ممثليهم المعروفين في السلطة آنذاك، وتحديدًا النائبين خير بن سليم وسعيد باشا، اللذين دعوا إلى عقد مؤتمرات عديدة لإخراج الدولة العثمانية من أزمتها. وقد أثبتت الوثائق العثمانية أن خطوات "الدونمة" كانت مشابهة لتلك التي اتخذتها أوروبا. [40]. واتضح أن السلطان عبد الحميد الثاني شعر بخطر جسيم يواجهه، فآثر التعامل معه باتخاذ خطوات احترازية إضافية. ولتحقيق ذلك، طلب من أحد مستشاريه ويدعى حامد أرودوغلي وضع الخطط والاستعداد

---

[38] المرجع السابق نفسة، ص38

* يهود المارنوا: لفظ اطلق على اليهود الذين كان يقيمون في اسبانيا والبتغال حيث اجبرو على دخول المسيحية فأعتنقوها بهدف البقاء في البلاد والحفاظ على ممتلكاتهم، بعد سقوط الحكم الإسلامي ، فصارو يتخذون ديانتين اليهودية واظهار اعتناق المسحية بالعلن. أنظر:هدى درويش ، *المارنوس (اليهود المتنصرون)*، معهد الدراسات الاسوية- جامعة الزقازيق، القاهرة ،2007، ص2

[39] عبد الوهاب المسيري، *اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة* ، ص100-101

[40] ضيماء عزيز مناور ، *يهود الدونمة والدولة العثمانية 1876-1918*،اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد2013م ص118

لمواجهة هذه التطورات انطلاقاً من قوة العالم الإسلامي الذي كانت تقوده الدولة العثمانية.[41]،في عام 1891م، حاول هرتزل، زعيم الحركة الصهيونية، أثناء زيارته لإسطنبول، الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني لعقد صفقات معه تقضي باستيطان اليهود في فلسطين. إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني وضع في البداية شروطًا للاستيطان، منها أن يقتصر منح اليهود الإقامة والاستيطان على الأناضول والعراق وسوريا، مقابل دفع مبلغ مليون وستمئة جنيه إسترليني، لكن هرتزل رفض هذا الشرط.[42] بعد محاولات هرتز لإرسال وسطاء إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإقناعه بقبول استيطان اليهود في فلسطين، وكان من بين هؤلاء الوسطاء (فيليب دي نيولنسكي) [43]، رد عليه السلطان بقوله: "إن فلسطين لا تعتبر مهدًا لليهود فقط، وإنما هي مهدٌ لكافة الأديان".[44]

يتضح من هذا أن السلطة العثمانية سمحت للدونمة بالعيش والعمل كبقية السكان دون تعرضهم لاضطهاد مباشر أو استهداف جماعي. ومع ذلك، ظلت السلطات العثمانية حذرة تجاه هذه الجماعة نظرًا لطبيعتها المزدوجة وسريتها الدينية، فُرضت عليهم الرقابة في بعض الفترات، خاصةً عند انتشار شائعات حول ولائهم أو تأثيرهم في السياسة المحلية. ولم تعترف الدولة بالدونمة كـ "ملة" مستقلة، على غرار اليهود أو الأرمن، لأنهم أعلنوا رسميًا اعتناقهم الإسلام. ونتيجة لذلك، خضعوا للقوانين الإسلامية العامة، مما حدّ من ظهورهم ككيان طائفي واضح المعالم. برز دور بعض أفراد الدونمة اجتماعيًا وثقافيًا في سالونيك التي كانت مركزًا للنشاط السياسي، وشغل بعضهم مناصب في فترة تولي السلطان عبد الحميد الثاني. ورغم ربط بعض المؤرخين بينهم وبين جمعية الاتحاد والترقي، إلا أن هذا الارتباط لا يزال قيد النقاش ويفتقر إلى إجماع تاريخي حاسم..

الخلاصة

اظهرت دراسة الطوائف اليهودية في الدولة العثمانية أن اليهود لم يشكلوا كتلة دينية أو اجتماعية متجانسة، بل كان وجودهم فسيفساء من الفرق والجماعات التي تباينت في العقيدة والممارسة والولاء السياسي. وعلى الرغم من الهوية الإسلامية للدولة العثمانية، إلا أن سياستها المتسامحة تجاه الأقليات الدينية أتاحت بيئة آمنة سمحت لليهود بالحفاظ على تقاليدهم وتنظيماتهم الدينية عبر نظام الملّة، الذي منحهم استقلالًا ذاتيًا في إدارة شؤونهم الخاصة. وقد أسهمت هذه السياسة بدور

---

[41] ضياء عزيز مناور، *يهود الدونمة والدولة العثمانية 1876–1918*،ص118

[42] هدى درويش، *العلاقات التركية اليهودية*، ج 1، ص311

[43] فليب دي نيولنسكي 1841–1890م: صحفي وسياسي نمساوي من أصل بولندي، عمل في سفارة النمسا في إسطنبول. وقد عمل أيضاً كعميل مزدوج للسلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان صديقاً له ولـ هرتزل ولعدد من الدول الأوروبية. أسس وكالة "أبناء" في فيينا وأصدر صحيفة "الشرق" اليومية. انظر:

[44]هدى درويش، *العلاقات التركية اليهودية*، ج1 ص312.

محوري في استقرار الطائفة اليهودية وازدهارها الاقتصادي والثقافي، لكنها في المقابل أبقت على الانقسامات الداخلية بين الفرق اليهودية، ومن أبرزها:

- الربانيون (الحاخاميون): التيار التقليدي الرسمي الذي هيمن على المؤسسات الدينية اليهودية.
- القراؤون: الاتجاه النصّي الرافض للتلمود، والذي حافظ على عزلة فكرية واجتماعية.
- السبتيون (الدونمة): الجماعات الباطنية التي مزجت بين الدين والسياسة، وكان لها تأثير كبير في التحولات الفكرية في أواخر العهد العثماني.

وتميزت الدولة العثمانية بمرونتها في التعامل مع هذه الجماعات؛ إذ لم تسعَ إلى فرض التجانس الديني، بل اعتمدت مبدأ "التوازن الأهلي" القائم على الولاء السياسي مقابل حرية المعتقد. ومع مرور الزمن، تحول اليهود – وخاصة جماعات الدونمة – إلى عناصر فاعلة في النشاط الاقتصادي والثقافي والسياسي، وكان لهم إسهام ملحوظ في حركة التحديث العثماني في القرنين التاسع عشر والعشرين، وتكشف دراسة الفرق اليهودية في الدولة العثمانية عن ظاهرة اجتماعية ودينية معقدة؛ فهي تعكس من جهة التسامح الإسلامي العثماني الذي كفل للأقليات حرية العبادة والتنظيم، وتعكس من جهة أخرى قدرة اليهود على التكيف مع الأوضاع السياسية والاقتصادية المستجدة دون التنازل عن هويتهم الدينية والثقافية.

النتائج

1. تسامح الدولة العثمانية تجاه الأقليات مكّن اليهود من الاستقرار وممارسة شعائرهم الدينية بحرية، ضمن نظام الملّة الذي ضمن لهم الاستقلال الإداري والديني.

2. تعدد الفرق اليهودية داخل الدولة (الربانيون، القراؤون، الدونمة) يعكس امتداد الانقسامات التاريخية القديمة داخل اليهودية، ويؤكد التنوع العقائدي داخل المجتمع اليهودي.

3. السبتيون والدونمة شكّلوا ظاهرة دينية وسياسية فريدة، إذ دمجوا بين التصوف والمسيحانية اليهودية، وأثروا في الحركات الفكرية والسياسية في أواخر العهد العثماني.

4. اليهود عمومًا أسهموا في الاقتصاد العثماني من خلال التجارة والتمويل والطباعة، وكان لهم دور بارز في ربط الدولة العثمانية بالأسواق الأوروبية.

5. أظهر البحث أن الدولة العثمانية تعاملت مع الفرق اليهودية بمرونة وحذر في آنٍ واحد، فسمحت لهم بالحرية الدينية مع مراقبة أنشطتهم السياسية والفكرية.

7. مثّلت هذه الفرق جزءًا من النسيج المتعدد الأديان الذي ميّز المجتمع العثماني، وأسهمت في إثراء الحياة الفكرية والاقتصادية للدولة.

التوصيات

1. تشجيع الدراسات الأكاديمية المتخصصة حول الأقليات الدينية في الدولة العثمانية، خصوصًا اليهود والدونمة، لفهم أعمق لطبيعة التعدد الديني في المجتمعات الإسلامية التاريخية.

2. الاعتماد على الوثائق العثمانية الأصلية والمراسلات الدبلوماسية الأوروبية لتوسيع المعرفة الدقيقة حول العلاقات بين اليهود والدولة.

3. توسيع الدراسات المقارنة بين وضع اليهود في الدولة العثمانية ووضعهم في أوروبا في الفترة نفسها، لإبراز الفوارق في السياسات الدينية والاجتماعية.

4. تحليل الأثر الفكري والسياسي لجماعة الدونمة في التحولات الحديثة داخل الدولة العثمانية وبدايات الجمهورية التركية.

5. الاستفادة من تجربة مواقف السلطة العثمانية في إدارة التعدد الديني كأنموذج للتعايش الأهلي في المجتمعات متعددة الديانات.

قائمة المراجع والمصادر العربية

- ابن فارس احمد، معجم مقايس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، مطبعة الجيل، بيروت، لبنان، 1411هه-1991م.
- أبن منظور محمد بن أكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر لبنان بيروت، 1970م
- بيك آصف يوسف عزتلو، تاريخ سلاطين بني عثمان، كلمات عربية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، مصر،2011م.
- جاسم محمد جاسم نعمة، التطرف الديني عند اليهود دراسة . تاريخية، مجلة مجلة مركز الدراسات الانسانية، كانون الاول 2007م
- حبيب كمال السعيد، الاقليات والسياسة في الخبرة الاسلامية من بداية الدولة الاسلامية حتى نهاية الدولة العثمانية ()، مكتبة مدبولي للنشر ط1،القاهرة،2002م.
- درويش هدى، العلاقات التركية اليهودية، دار القلم ط1، دمشق، سوريا، 1423هـ/2002م
- روجان يوجين، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد ابراهيم الجندي،ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر 2011م.
- الزبيدي مرتضى محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس،ط1، دار الفكر،بيروت، 1414هـ، 87/24
- سرهنك إسماعيل،حقائق الاخبار عن دول البحار، 2ج، المطبعة الاميرية، القاهرة،ط1، ج1312،1هـ/1895م،ج1
- سميرنوف ف، كوتشيباي جيوميور دجينسكي وكُتَّاب آخرون من القرن السابع عشر يتحدَّثون عن انهيار تركيا، سان بطرسبورج، ١٨٧٣م.
- عبد الستار ليلى، تنمية الفكر السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف، مجلة دراسات تربوية- رابطة التربية الحديثة، القاهرة، المجلد السابع
- العزاوي جواد قيس، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدارالعربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط،1414هـ/1994ص113 .
- عوض عبد العزيز، الإدارة العثمانية في سوريا 1864-1914م رسالة ماجستير، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- غربي الغالي، دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط2، 2011م .
- فرديناند: ملك قشتالة وليون (1474_1504) تزوج من ايزبيلا ملكة قشتالة 1469م وحكموا مملكة قشتالة معاً وهكذا جرى توحيد اسبانيا واقاموا محاكم التفتيش وأجلاء جميع الديانات غير المسيحية من اسبانيا، انظر: champ an,charls E
- كولن صلاح، سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة: منى جمال الدين، دار النيل، ط1، القاهرة،مصر، 1435هـ/2014م.
- الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية العربية للدراسات والنشر، دار الهدى جـ1.
- لا ندروا يعقوب، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية(1517_1914م)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي أحمد عبد اللطيف حماد، تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن، المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة، 2000م.
- المسيري عبد الوهاب، اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط3،دار الشروق، القاهرة،مصر،2005م.

- مصطفى صبري، النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، تقديم ودراسة : مصطفى حلمي، دار الدعوة،ط1، الاسكندرية 1405هـ/1985م.
- مصطفى عبد الرحيم احمد، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت،1406هج/ 1986م.
- النعيمي نوري أحمد، اليهود والدولة العثمانية، دار البشير، ط1، عمان الاردن، 1997م.
- النعيمي نوري أحمد، اليهود والدولة العثمانية، دار البشير، ط1، عمان الاردن، 1997م.
- هاشم يونس محمد، الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، دار الكتاب العربي للنشر، ط1، دمشق،2010م.
- همو عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط2، الاوائل للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق،1425هـ/2004م.
- همو عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات،الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2003م.

المجلات

- محمد حامد، "مقالة من تاريخ التسامح الديني في الدولة العثمانية: الهجرة اليهودية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، مجلة ترك برس، 07 مايو 2016.

المصادر والمراجع الاجنبية:

- Inalcik H. Social and Economic History of Turkey (1071–1920). Ankara, 1980.
- Ubicini M. Letters on Turkey. Vol. 2. L. 1856.
- Documents officiels turcs concernant les Juif de Turquie (recueil de 1141ois, reqlernents, firmans, berats, ordres et decisions de tribunaux). Istanbul, 1931.
- Le Moniteur Ottoman, 22.01.1834
- Karal E. Osmanli tarihi. C. 7, Ankara, 1956. s. 1481
- Le nombre des juifs de Castille et d'Espagne au Moyen Age. –Revue des Etudes Juives, No 141887.
- Franco M. Essai sur l'histoire des Israelites de l'Empire Ottoman. P, 1897.
- Christians and Jews in the Ottoman Empire: the Functioning of a Plural Society. Ed. by Braude B. and Lewis B. N. Y.–L., 1982. V. 1

- Ed,ByH.H-Ben Sasson,AHistory of the Jewish People,Landan,19
- Bernard Lewis, Christians and Jews in the Ottoman Empire, meler puplishers, VaL-I,New york , 1982,
- champ an,charls E

الموقع الالكترونية:

- https://pressst.com/2024/11/07/
- https://whiteink.info/zionism-and-the-ottoman-empire-2-full-page-58/
- https://www.turkpress.co/node/10107
- https://www.aljazeera.net/programs/2023/4/5